

الفصل الثالث علاقة خلفاء الدولة العثمانية بأهل التكايا

تمهيد:

الدولة العثمانية دولة ذات نطاق واسع من الناحية التاريخية والجغرافية، والعلمية، والدينية، وأيضاً من حيث الجهاد حيث فاقت أى دولة إسلامية في محاربة المسيحية خاصة في أوروبا وآسيا الصغرى. وهى دولة ذات حصن في فتوحاتها.

الدولة العثمانية أطول دولة في التاريخ عدلاً، وعلمياً، وحضارة، وفتوحات، وتعتبر فخراً للدولة الإسلام يعتز بها كل من يحب دينه وحضارته وماضيه العريق.

وكان للتكايا الأثر الواضح الذى تعتمد عليه الدولة العثمانية في كثير من نواحيها المختلفة سواء في الجهاد والفتوحات الإسلامية، أو أسلمة كثير من المدن ونشر الإسلام فيها، والاستعانة برجالها في إقامة الجامعة الإسلامية، أو أسلمة كثير من المدن ونشر الإسلام فيها، والاستعانة برجالها في إقامة الجامعة الإسلامية والتدريس بها، والاعتماد على رجالها في بناء الحضارة وعمارة المساجد التى توجد حالياً بتركيا بفنها الخالد العريق وقد قام رجال التكايا والزوايا بالدفاع عن الإسلام جهاداً وغزواً بفتح أواسط آسيا، وآسيا الصغرى، وفتح أفريقيا، وغزو أوروبا.

واستعين بأهل التكايما فى محاربة رؤوس المسيحية المنصرين^(١) وذلك بالرد عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة والدفاع عن الإسلام ومن يسئ إليه.

نتعرض فى هذا الفصل إلى الحديث عن الدولة العثمانية وعلاقتهم بأهل التكايما بتركيا وخاصة الموقف العجيب من تقرب أهل التكايما إلى السلاطين العثمانيين وحبهم للعلم والعلماء، وأهل التكايما خاصة، من أجل خدمة الإسلام.

(١) لا يجوز أن نطلق لفظ المبشرين على الحملات التنصيرية، لأن التبشير فى الإسلام فقط.

المبحث الأول نشأة العثمانيين

نشأت الدولة العثمانية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري بآسيا الصغرى.

كانت توجد قبيلة تسمى "قايى" ^(١) اضطرت إلى الهجرة قرب الأناضول بعد اجتياح المغول لمنطقة "تركستان" وتمت الهجرة لهم على مدار عشر سنوات، وكان رئيسهم يدعى "كوندوزالب" ولما توفي تولى ابنه "أرطغرل" على قومه وباشتراكهم مع سلطان "قونية" السلجوقى، وانتصارهم على "خوارزم شاه" خاقان تركستان، نسب النصر إلى "أرطغرل" وقبيلته ومن هذه اللحظة كان لهم مكانة هامة في حياة سلطان "قونية" حيث أعطاهم الكثير من الأراضي السلجوقية الواقعة في الجهة الغربية من الدولة.

وهكذا تستمر الانتصارات لهذه القبيلة على أعداء السلجوقيين وازداد نفوذ "أرطغرل" حيث منح "لقب بك".

(١) تقع قبيلة "قايى" في جنوب صحراء "قارقورم" بشمال خرسان. انظر: محمد حرب، العثمانيون في

التاريخ والحضارة مرجع سابق، ص ٩.

وأخذ "عثمان بن أرطغرل" ^(١) الكثير من أراضي البيزنطيين، ووضيفها إلى إمارته، ولقب الأمير "عثمان" بلقب "الغازي".

وفي عام ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م أسس الأمير "عثمان بن أرطغرل الإمارة العثمانية في غرب الأناضول ومن هنا بدأت تحركاتهم في الفتوحات الإسلامية وتوسيع رقعت دولتهم.

ومن هذا المكان الذي استقر فيه "عثمان" بدأت القبائل التركية تنزح عليها في فترات متباعدة حيناً ومتقاربة حيناً آخر من مناطق الأستبس في آسيا. ^(٢)

نسب آل عثمان:

اختلف المؤرخون حول نسب العثمانيين، فمنهم من قال: أنهم يتمون إلى بلاد الحجاز، وأن "عثمان" فر إلى "قرمان"، وكان من صفاته أنه قوياً شجاعاً، فسار في خدمة السلاجقة فسار على طريقتهم وتكلم لغتهم وصار له اعوان واتباع وجيش. ^(٣)

وقيل: أن أصلهم من الجراكسة من أولاد يافث بن نوح. ^(٤)

(١) لقب الأمير "عثمان" بفخر الدين، ومعين الدين. انظر: ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سابق، ص ٩.

(٢) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٩. وانظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط ٢، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٠.

(٣) محمد أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥، ط ٢، القاهرة ١٩٨٢، ص ٣٦٤.

(٤) إسمايل سر هنك، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت ١٩٨٨ م، ص ٨.

وقيل: أن العثمانيين يتتسبون إلى أبى مسلم الخراسانى. ^(١)

وذكر المؤرخ التركى محمد فؤاد كوبريلى: أنهم ينسبون إلى قبيلة "قابى" ولكن الكثير من العلماء يؤكدون أن النواة الأولى للدولة العثمانية "عنصر غربى" أى تركمانى لا يختلف عن أغلبية الترك الذين وفدوا مع السلاجقة. ^(٢)

ومن الأسماء التى أطلقت عليهم "دولت عليه" أى الدولة العلية، وأطلق عليهم اسم "سلطنة سنية" وتعنى السلطة السنية، وأطلقوا عليها بعد اتساع دولتهم فى أوربا وآسيا وأفريقيا "إمبراطور لى عثمانلى" أى الأبراطورية العثمانية وينسب هذا الاسم إلى مؤسس دولتهم الأول "عثمان الأول" وبعد ذلك تمسك العثمانيون بهذا الاسم، واعتزوا به ومن منطلق هذا الاسم عرفت بالدولة العثمانية. ^(٣)

العوامل التى ساعدت على قيام الدولة العثمانية:

توجد عوامل كثيرة ساعدت على قيام الدولة العثمانية ونهوضها اجتماعيا وتاريخيا منها:

١- وفود قبائل "قابى" على الأناضول على الفتوحات السلجوقية بصفات مستمرة.

(١) محمد فؤاد كوبريلى، قيام الدولة العثمانية، ص ١١٨ .

(٢) محمد أحمد بن إياس الحنفى، مرجع سابق، ص ٣٦٥ .

(٣) عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج ١ مطبعة القاهرة، مكتبة الأنجلو

٢- التوسع الهائل الذي قام به "عثمان الأول" في بداية وجوده في شمال غرب الأناضول على الحدود التركية.

٣- انشغال البيزنطيين بالفتنة الداخلية في سيطرتهم، وخاصة مع أعدائهم "كرميان"، فسقط الكثير من الإمارات الخاضعة للدولة البيزنطية تحت سيطرة "عثمان الأول".^(١) عاصمتهم، وفي بلاد البلقان الخاضعة تحت

٤- تعمير الأماكن الخالية التي يتركها أهل "تراقيا" الفارين أمام الزحف العثماني.

٥- الإيمان الشديد بالجهاد، وأنهم يجاهدون في سبيل الله من أجل إعلاء كلمته.

٦- تحقيق وصية^(٢) "عثمان الأول" التي وصاها لابنه من بعده وهو العمل على إقامة العدل والإيمان بالله، والجهاد في سبيله.

(١) محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) وصية عثمان جاء فيها "يا بني أخط من أعطاك بالإعزاز وأنعم على الجنود، ولا يغرنك الشيطان بجندك وبمالك، وإياك ان تبعد عن أهل الشريعة، يا بني إياك ان تشتغل بأمر لم يأمر به الله رب العالمين. وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة الدين موثلاً. يا بني: إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الأفاق، فتحدث مرضاة الله جل جلاله. يا بني: لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم، أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نجيا، وللإسلام نموت وهذا يا ولدي ما أنت له. وكانت هذه الوصية النموذج الذي اجتزى به العثمانيون،

٧- حسن المعاملة التي كانت يعاملها عثمان الأول لأهل البلاد التي كان يفتحها هو وجنوده مما جعل كثير من الناس وأهل هذه البلاد يقومون بحب " عثمان " وإعطائه الولاء له ضد أى دخيل عليهم ضد الدولة العثمانية. ^(١)

٨- تثبيت أقدام العثمانيين في بلاد "البلقان" بعد استيلائهم على الأراضي البيزنطية.

٩- الزواج من الأجنبية، واختلاطهم بالروس والصرب وغيرهم. ^(٢)

١٠- امتدت الفتوحات الإسلامية على يد العثمانيين في ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، وأولهم المؤسس الأول لدولة آل عثمان- عثمان الأول- واتخذ مدينة "يكي شهر" ^(٣) عاصمة له. كما اتخذ الراية التي كانت رمزاً لهم ولدولتهم والتي لا تزال حتى زمننا الحاضر تشكل العالم التركي المؤلف من الهلال والنجمة. ^(٤)

واهتموا بحياتهم العلمية والدينية، وإنشاء الجيش، واحترام العلماء والجهاد في سبيل الله. انظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق ص ٤٢.

(١) أمين شاكر وآخرون، تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء أتاتورك، دائرة المعارف، القاهرة، ص ١٣.

(٢) عبد العزيز الشناوى مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) "يكي شهر" مدينة في وسط تركيا غربى مدينة قونية. انظر: على حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامى، ط ٣، عام ١٩٨٣م القاهرة، ص ١٥.

(٤) على حسون، مرجع سابق، ص ١٥.

المبحث الثاني ارتباط السلاطين بأهل التكايا

كانت نشاطات تأسيس الدولة العثمانية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتشكيلات الصوفية التي كانت موجودة في ذلك الوقت ووجدت الصداقات، وعلاقة الغرب بين رجال الدولة، وبين مشايخ الطرق الصوفية، واستمرت العلاقة هذه مع العلماء، وتقديم الحب والاحترام لأهل الطرق.^(١)

وكان الحكام يعدون معرفة العلماء المتصوفة شرفا لهم - أي الحكام - وكانوا يقبلون أيديهم، بل أن بعضهم يعتبر التراب المنثور من حافر جواد الشيخ كحلا يكتحل به!!^(٢) وحينما نكون جيش نظامي للدولة العثمانية في عهد "عثمان الأول" أخذ السلطان عددا كبيرا من الجيش إلى شيخ الطريقة البكتاشية، وكان ذلك من أجل الدعاء لهم. فما كان من شيخ الطريقة إلا أن وعظهم ببعض أمور دينهم، ودعى لهم بالنصر، وإعلاء كلمة الله - تعالى - على أيديهم في شتى بقاع الأرض، ثم قال: ليكن اسمهم "بنى تشارى" - يكى جرى - المحرف بالعربية إلى كلمة إنكشارى.^(٣) عرف في دولة العثمانيين ما يسمى بـ "سيف الدولة

(١) السلطان "عثمان الأول" قيل أنه اعتنق الإسلام بعد موت أبيه حينما رأى في المنام "ملاكا" يشره بأنه وذريته سيعلو قدرهم لاحترامهم، وانكر محمد فؤاد كوبريلى هذه الرواية. انظر: عبد العزيز الشناوى، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) Mustafa Kara.a-g-e.

(٣) كلمة "بنى تشارى" Yenicecri - معناها الجلد الجلد، أو الجيش الجديد. وهو الجيش النظامي العثماني الذي بدأ في عهد الأمير مراد الأول. وينقسم ايواء الإنكشارية - بنى تشارى - إلى ثلاث

العثمانيين" الذي أطلق عليه فيما بعد بسيف عثمان^(١) "الموروث بداية عن " عثمان الأول" وكان من العادة تسلم هذا السيف من شيخ الطريقة "المولوية" بمسجد أبي أيوب الأنصاري.^(٢) وكان تسليم هذا السيف يكون في حشد عظيم من الناس واحتفالات كبيرة.^(٣) تسلم هذا السيف سلاطين الدولة العثمانية واحد تلو الآخر من أول "عثمان الأول" عام ١٢٩٩ م إلى آخر خليفة عبد المجيد الثاني عام ١٩٢٢ م.

أقسام رئيسية: القسم الأول: السكبان يعنى مديري كلاب الجيش - القسم الثاني: وحدات الأغوات بمعنى وحدات القادة. القسم الثالث: الفرق العسكرية بمعنى الوحدات الأصلية للجيش. وكانت الإنكشارية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبكتاشية التي تنسب إلى الشيخ "حاجى بكتاشى ولى"، وقد أضيف إلى لواء الإنكشارية بعد ذلك فرق الأعاجم وكان لواء الفرق العسكرية أهم قسم في الجيش الإنكشارى العثمانى، وتم القضاء على الإنكشارية عام ١٨٢٦م في عهدالسلطان محمود الثانى وهى تلك الواقعة التى سميت في التاريخ العثمانى بالواقعة الخيرية. انظر: **Midhat settoglu Ocmanli Tarih Lugat, Istanbul, 1980**

(١) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة التقدم، القاهرة ١٩١٢م، ط٣، ص٤١، ٤٢.

(٢) أبو أيوب الأنصاري من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اشترك في فتح القسطنطينية في عهد معاوية بن أبى سفيان عام ٥١ هـ هو وعدد من الصحابة، وقبره ما يزال معروفا وموجودا في الأناضول ومزارا للناس، وتوجد مراسم الدولة العثمانية لتقليد الحكم في مسجده، احتراماً وتقديراً له. انظر: على حسون، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣) عبد العزيز الشناوى، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٤.

إن دل هذا على شئ فإنها يدل على مدى وجود أهل التكاييا في فكر، ووجدان الشعب عامتهم وخاصتهم، وحتى حكامهم أصحاب الكلمة الأولى.

فوجد "عثمان الأول يعتنق الإسلام في يسر وسهولة وجعل الدين الإسلامي عقيدة رسمية للأتراك وآل عثمان.^(١) وكان متحمسا لعقيدته الدينية، ويعمل بأقوال الفقهاء، والعلماء المسلمين وكان عدلا في تصرفاته في عصر ملئ بالعنف والظلم، وتطلع إلى الإكثار من الزواج بأجنبيات للإكثار من عدد العثمانيين، واستخدام الرجال المغامرين في الحروب والفتوحات الإسلامية من أجل إعلاء راية الإسلام. غير أنه توسعت فتوحاته، فقام بعمليات حربية بصفته أميراً في خدمة السلطان السلجوقي المسلم "علاء الدين كييقبا".^(٢)

(١) استطاع "عثمان الأول" بمشيرة العلماء الأجلاء في عهده أن يرسم الخطوط الأساسية لسياسة إمارته، وظهرت فلسفته في الحكم عندما وصى لأبنه في وصيته له بالانقياد إلى الشريعة الإسلامية، والعمل بها، والجهاد في سبيل الله، وإقامة العدل بين الرعية، والعمل بمشورة العلماء، ومشورة أهل الرأي في كل ما يهمهم من الأمور الخاصة بالدولة، واحترام العلماء وإعلاء كلمة الله وتعظيم أوامر الله. ومن هنا يتضح أن الأمير عثمان مؤسس الدولة العثمانية كانت حياته مليئة بالجهاد أما التخطيط الإداري والتنفيذ في الإمارة كان موكلا إلى علماء الدين الذين كانوا مثلاً أعلى للباطنة الحسنة. انظر: ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مركز بحوث آسيا، الزقازيق، ٢٠٠١م، ص ٩، ١٠. وانظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) استولى "عثمان" في عهده على تبة الجزيرة الضيقة بين "نيقوميديا" والبحر الأسود وعلى الطريق المائي الموصل بين القسطنطينية و"بروسة" واستولى على جزيرة "كالوليمني" الواقعة على بحر مرمرية. انظر: عبد العزيز الشناوي ج ١ مرجع سابق، ص ٤٢.

تولى عثمان الحكم وكان عمره ثلاثة وعشرين عاماً، وكانت المساحة التي استولى عليها أبوه حوالي ٤٨٠٠٠ كيلو متر مربع^(١) ومات "عثمان الأول" وترك المساحة التابعة لدولتهم ١٦٠٠٠ كيلو متر مربع^(٢) وكان للمشايخ - أهل التكايا - الأثر الواضح في الجماهير والسلاطين، وخضع خلفاء الدولة إلى الطرق الصوفية الذي كان له الأثر الواضح في انتشار الإسلام في آسيا الصغرى قبل وجود الحكم العثماني بزمان مثل: النقشبندية والمولوية، والبكتاشية، وكان خضوع الحكام لأهل التكايا أكثر من الخضوع لعلماء الدين الرسميين، وكانت العاطفة الدينية ينميها هؤلاء المتصوفة عند هؤلاء الناس.^(٣) وكان ذلك السبب علو همتهم وحلاوة لسانهم، وتمسكهم بدينهم، جعل الناس ينظرون إليهم نظرة حب وتقدير واحترام. اطلق شيخ الطريقة المولوية على حاكم الدولة العثمانية لقب "حامى همى الحرمين".^(٤) وذلك قبل لقب خليفة الذي اطلق

(١) محمد حرب العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ١٠.

(٢) تمكن عثمان من ضم قلعة "قرة حصار" واستولى على "الزميد" و"وازينق" وحاصر مدينة "برصة" عشر سنوات، واستولى عليها ومنح لقب بك من حاكمها "إقرينوس". انظر: محمود

شاكرا، التاريخ الإسلامى العهد العثماني ج ٢ المكتب الإسلامى، بيروت ١٩٩٧ ص ٦١.

(٣) كارول بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، الأتراك والعثمانيون وحضارتهم، ترجمة نبيه فارس، ومنير البعلبكي دار العلم للملايين بيروت عام ١٩٥٥ م ط ٢، ص ٤١، ٤٢.

(٤) اهتم العثمانيون بتعمير الحرمين الشريفين، والتوسعات التي لا بد منها، وعملوا على تأمين طرق

الحجيج وإرسال الصرة السنوية لسكان الحرمين الشريفين، وأوقفوا أوقافا كبيرة للإنفاق على الحرمين

الشريفين. انظر: ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سابق، ص ١٤.

عليهم في القرن السادس عشر الميلادي. بجانب ذلك أهتم العثمانيون بإنشاء المساجد، وتنظيم الحج كان عن طريق أهل التكايا. (١).

ارتباط الأمير "أورخان" بالتكايا:

بعد وفاة "عثمان الأول" تولى ابنه "أورخان" عن وصية وصى بها أبوه له بالحكم، وذلك لأوصاف وجدها في ابنه وهي: الشجاعة والفظانة، وعلو المنزلة لديه، ولم يعارض الابن الأكبر "علاء الدين" وصية أبيه، واكتفى بتدبير الأمور الداخلية، وتفرغ الأمير "أورخان" إلى الفتوحات الإسلامية. (٢). وبعد أن فتح الأمير "أورخان" مدينة "أزنيك" أنشأ بها عدد من المؤسسات التعليمية، وتكاييا للفقراء، وجعل أكبر أولاده حاكما على المدينة وهو "سليمان باشا". (٣).

(١) محمد فريد، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢) محمد فريد، مرجع سابق، ص ٤١.

(٣) ضم الأمير "أورخان" إمارة "قرة سى" عام ١٣٣٦م، وفي عهده استولى أكبر أولاده "سليمان باشا" على "بوغاز الدردنيل"، واحتل ميناء "ترناب" واحتل العثمانيون مدينة "أسالا"، ومدينة "رودستو" وفتح "أورخان" مدينة "أزميد"، ودخل مدينة "أزنيك" بعد حصارها ستين وتوسع أورخان في زيادة الجيش الإنكشارى، وأخذ عدد منهم لشيخ الطريقة المولوية للدعاء لهم، وصاحب فكرة هذا الجيش رجل يدعى "قرة خليل" حيث أخذ من أسر الحرب رجالا أقوياء، وفصلهم على بنى جنسهم، وظل يغرس فيهم صفات الدين الإسلامى وهم لا يعرفون أباهم إلا السلطان "أورخان" وليس لهم حرفة إلا الجهاد في سبيل الله. انظر: محمد فريد، مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣، ومحمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ١٢، ١٣.

وارتبط هذا السلطان ارتباطا وثيقا بالشيخ "جايكلى بابا".^(١)

وكان السلطان العثماني - أورخان بك - يلح في الطلب على شيخ التكية لكي يترك تكيته ويقم معه في القصر - أى في قصر السلطان أورخان - إلا أن الشيخ لم يوافق على ذلك.

فكان السلطان دائما الذهاب إلى التكية، ويضطر إلى الذهاب إليها - رغم هموم السلطنة - لزيارة الشيخ، والنيل من علمه، وروحانيته وبركاته، وتذكر الروايات التاريخية أن "أورخان غازى" كان يرسل أفخر وأحسن الهدايا إلى تكية الشيخ "جايكلى بابا" إلا أنه لم يكن يقبلها.^(٢) وكان الشيخ يذكر "لأورخان غازى" أنه ومريديه سعداء بالإقامة في التكية، ولأن ورائهم أعمال ومصالح وهى زراعة الأراضي، واستصلاح الأراضي الخالية.^(٣)

(١) "جايكلى بابا" ولد رحمه الله ببلدة "خوى" من بلاد العجم ثم ارتحل إلى بلاد الروم وحضر فتح "بروسا" مع السلطان "أورخان" راجبا الغزال وتوطن قريبا من مدينة "بروسا" ومات هناك ودفن بتلك الموضع وبنى السلطان "أورخان" على قبره قبة، وقبره في "برو" بزار ويتبرك به. واشتهر بلقب الغزال لأنه كان دائما يركب الغزال وكان الغزال مسخرا له ويجوار قبر "جايكلى بابا" قبر آخر لأحد أولاد الأمير "كرميان". قيل: لقد ترك الإمارة واتصل بخدمة الشيخ ونال عنده المراتب السنية. انظر: طاشكوبرى زاده: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، تحقيق أحمد صبحى فوات، أستانبول، ١٤٠٥، ص ١١.

(٢) Mastaf Kara, a-g-e-s.161

(٣) يجب هذا التنبيه لما قاله الشيخ: أن أصحاب التكايما كان لهم دور كبير في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، وهو استصلاح الأراضي وزراعتها وعملهم الخاص وهذا ما تحدثنا عنه في الجانب الاقتصادي للطريقة - آخية - إذن ليس العمل مقصورا على "أهل الفتوة" فقط، بل كل

ومن حب السلطان "أورخان" للعلم والعلماء تعلم العلم على أيدي كثير من علماء قصره مثل: علوم الحديث، والتفسير، وعلم التصوف، والعلوم العصرية من رياضيات وغيرها. وأهتم "أورخان" بأهل التكايا في جميع مناطق الأناضول، وأصبحت التكايا دورا للعلم والمريدين والفقراء الذين يريدون أن يسدوا حاجتهم في الحياة وخاصة التي اهتمت بالتدريس.^(١)

اهتمامات السلطان "محمد الفاتح" بالتكايا والعلم:

لما ارتقى السلطان "محمد الفاتح" إلى عرش السلطنة قلد "سيف عثمان" من شيخ الطريقة المولوية "بيوك جليبي". واهتم السلطان بإنشاء المساجد الكثيرة في عصره، والمكتبات المليئة بالعلوم الإسلامية، وألحق بالمساجد دورا للعمل مثل الأزهر الشريف. وكان للمساجد دور للفقهاء وطلاب العلم، وبنى مستشفيات خاصة للعلماء، وطلبة العلم فقط غير المستشفيات العامة، وهذا كله من حبه للعلم وأهله. وأنشأ مطاعم لخدمة أهل العلم، وخانات، وحمامات، وآبار للشرب، وكثيراً من أعمال الخير.^(٢) لقد ناصر العلوم الإسلامية، وناصر أهل الشعر، وأغدقهم بالهدايا والهبات.

التكايا، وإن كان أهل التكايا، وإن كان أهل التكايا حرفيين وصناع وزراع يجب التنبيه أنهم ليس عالية على المجتمع ينتظرون الهبات، والصدقات من السلاطين، ولكن هم أهل علم وعمل مما جعل السلطان والشعب ينتظرون إليهم نظرة فاحصة كلها اهتمام وتقدير وإحترام.

(١) محمد فريد بك: مرجع سابق، ص ٤٣.

(٢) كارول بروكلهان: مرجع سابق، ص ٤٦.

ويقول في حقه الإمام قطب الدين الحنفي: "صلى في أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهي: "آيا صوفيا"^(١) وهي قبة تسمى قبة السماء، وتحاكى في الاستحكام قبة الأزهر، وما هت ولاهنت كبيراً ولا هرماً. كان أبراجها أبراج الأفلاك، ومسامير أبوابها نجوم السماء، مزق منها جلايب الصلبان والأصنام، وخلع عليها خلع المساجد في الإسلام، وأبدلهم الله - تعالى - عن الظلمات نوراً، وكساها بنور الإسلام، لازالت محلاً للصلاة والعبادة والاعتكاف، مقر الاستقرار في قلوب العلماء، والأصفياء والزهاد فيها والعراف."^(٢)

وقد أسس "محمد الفاتح" في استانبول دوراً للعلم لها أساس راسخ وبني بها المدارس، وجعلها كالجنان، واستجلب العلماء الكبار من أقاصي البلاد، وأنعم عليهم، وعطف بإحسانه لهم، وظهر سياحته لأهل التصوف الذين كانوا لهم الأثر الواضح في حبه وتفضيلهم عنده.^(٣)

(١) "آيا صوفيا" هي: من أكبر الكنائس التي كانت موجودة بالقسطنطينية - استانبول - حالياً - وحولها السلطان "محمد الفاتح" إلى مسجد، وهي من أعظم كنائس الروم، عليها سور يطوف بها فكانت وحدها مدينة، وأبوابها ثلاثة عشر باباً، ولها حرم نحو ميل لا يمنع أحد من الدخول، وهي مسطحة بالرخام وفي وسطها ساقية تحوطها الأشجار منظمة على جانبي الساقية، وياب الكنيسة معرشم الخشب، مرتفع عليه العنب، وفي أسفلها الياسمين والرياحين وأكثرها من الخشب. انظر: ابن بطوطة، مرجع سابق ص ٢١٢.

(٢) قطب الدين الحنفي، الأعلام، بدون دار نشر وبدون تاريخ، ص ١١٩.

(٣) قطب الدين الحنفي، نفس المرجع، ص ١١٨، ١١٩.

سمات القسطنطينية:

استولى السلطان "محمد الثانى" على أعظم وأكبر المدن التى ظل أجداده سنوات طويلة يحاربون من أجلها، ولم يستطع أحد النيل منها إلا وهى "مدينة القسطنطينية"^(١) فجاء الفاتح وفتحها. وعرفت بأنها ذات موقع جغرافى عظيم، وهذا أهم ما تتسم به أى مدينة فى العالم وأول من استفاد منها المسلمون، حيث أصبحت مركزا تجارياً، واقتصاديا لخدمة الدولة العثمانية.

وأصبحت مركزا هاما لخدمة العلم وطلابه، وأصبحت القسطنطينية المعروفة الآن بـ "أستانبول" مركزا فكريا حضاريا فى العالم الإسلامى. وتوجد بالمدينة مساجد كثيرة على أحدث طراز معمارى إسلامى حضارى، وخاصة

(١) كان أمير "القسطنطينية" يدعى الإمبراطور "قسطنطين" التاسع فى بداية الفتح شيد السلطان "الفتح" قلعة "روم أبلى حصار" على بعد كيلو مترات من أبواب القسطنطينية عند مضيق نقطة من "البوسفور" أصبح الإمبراطور عند علمه بذلك يبعث سفرائه إلى الفاتح "للاحتجاج ولكن أمر السلطان بقتلهم ليعلمهم الحرب. وحاصرها السلطان لمدة شهرين وهى صامدة فى وجه العثمانيين. وبالفعل استطاع العثمانيون عام ١٤٥٣ م بقيادة السلطان "محمد الفاتح" فتحها. وقتل إمبراطورها، وزهقت أنفوس كثيرة. إلا أن السلطان تدخل وأوقف القتال بإصدار الأوامر إلى جيشه ثم دخل كنيسة "آيا صوفيا" وأخذها منهم عنوة، وأمر السلطان بإصدار الأذان لجعلها مسجدا وأمر بإقامة الصلاة فيها معلنا بأنها تكون مسجدا من اللحظة نفسها وإرادت دول الغرب بهيمتها وقوتها مساعدة الإمبراطور "قسطنطين التاسع" وخاصة الكنيسة فى أوروبا ولكن ما اثبت هذه المؤامرات إلا بالفشل، إلا أن انتهى الأمر ووقع الذنب فى الشباك، واستولى العثمانيون عليها. انظر: كل من إسماعيل سر هنك، مرجع سابق، وعبد العزيز الشناوى، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩. وكارول بوركلمان، مرجع سابق، ص ٤١.

مسجد "آيا صوفيا" الذي تحول نهضة دراسية علمية بجانب الصلوات فيه، وإلقاء الخطب والمواعظ، حيث أنشأت أربع مآذن فوق هذا المسجد، وأضيفت ثلاث مآذن أخرى في عهد سليم الثاني، ووجدت قبة عظيمة بالمسجد ومن أشهر المساجد التي تقوم بدور علم في المدينة "مسجد السلمانية" المشهور بمعماره وروعته الفنية وغيرهم من المساجد. ^(١) وواصل "محمد الفاتح" فتوحاته الإسلامية ^(٢)، وقضى على الدولة البيزنطية، واستحق لقب الفاتح.

وخضع "محمد الفاتح" لنظام تربوي أثر في حياته، وتعلم تحت إشراف علماء وشيوخ مشهورين أثروا فيه كلياً وجزئياً. ^(٣)

تعلم القرآن الكريم والحديث والفقه والعلوم اللسانية مثل: نحو - صرف - بلاغة - وعلوم التاريخ، والرياضيات، وعلم الفلك، وتعلم علم فنون الحرب نظرية وتطبيقه. وتعلم اللغات الإسلامية وهي: العربية والفارسية

(١) محمد فريد بك، مرجع سابق، ص ١٧٩، ١٨٥.

(٢) فتح عام ١٤٥٣ م القسطنطينية ومن عام ١ م - ١٤٥٣ م إلى ١٤٥٩ م فتح بلاد الصرب وعام ١٤٦٠ م فتح بلاد المورة وفي عام ١٤٦٢ م ضم بلاد الأقالق وفي عام ١٤٦٣ م بدأ بفتح بلاد ألبانيا، وفي عام ١٤٦٣ م بدأ في فتح بلاد البوسنة والهرسك إلى عام ١٤٦٥ م وفتح بلاد كثيرة إلى أن حارب المجر عام ١٤٧٦ م. وضم الجزر اليونانية عام ١٤٧٩ م. انظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٣) تعلم العلم سبب في ثقل عقلية الفاتح وحبه للصوفية ونجح العلماء في تشكيل اتجاهاته الثقافية والسياسية والعسكرية. انظر: محمد حرب العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٤٦.

والتركية. فضلا عن ذلك اللاتينية والصربية واليونانية، وللسلطان "محمد الفاتح" ديوان شعر منظم باللغة التركية. (١)

ومن الشيوخ الذين أثروا في حياته "آق شمس الدين" (٢) حيث أهتم بالعلم وأهل الصوفية وأكثر من إنشاء المدارس، وتوالى السلاطين العثمانيون في مقدمتهم "الفاتح" إلى جعل "أستانبول" مركز إشعاعا للعلم. وبفضل المعمار "سنان" (٣) وجعله رئيسا للبناء والتشييد وزادت المدارس إلى أن وصلت ٥٠٠ مدرسة في القرن التاسع عشر. (٤)

(١) وله بيت شعر مشهور يقول فيه: نيتي هي الامتثال للأمر الإلهي جاهدوا في سبيل الله

وحماسي إنها هو حماس في سبيل دين الله

انظر: محمد حرب المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) كان "الفاتح" يبجل الشيخ "آق شمس" لدرجة أنه قال عن شيخه هذا "إن احترامي لهذا الشيخ احترام يأخذ لمجامع نفسي وأنا مائل في حضرته مضطربا ويدأى ترتعشان. وبين الشيخ له أنه هو المقصود بحديث الرسول (ص): لنفتحن لقسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش". انظر كل من: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٤٦. وانظر مسند الإمام أحمد ج ٤، ص ٥٣٢. وانظر: ماجدة مخلوف، مرجع سابق ص ١١.

(٣) المعمار سنان يعتبر من أعظم وأبرز من كونتهم الثقافة الإسلامية العثمانية ولقبه بكبير معماري العالم ولد في عام ١٤٩٠م في ولاية قيصرية التابعة للأناضول، وأنضم للجيش الإنكشاري وتعلم الفنون التطبيقية واختار التجارة وتلقى العلوم على أيدي علماء متخصصين وعمل معماريا في بناء الجوامع والحمامات وسبل المياه والخانات، واطلع على الإبداع المعماري العراقي في بغداد عند اشتراكه في حملة السلطان سليمان القانون على العراق، وشاهد روائع المعمار اليوناني عندما اشترك في فتح رودس، انظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١٥٨، ١٥٩.

السلطان "بايزيد الثاني" وحببه لأهل التكاييا:

عرف السلطان "بايزيد" أحد سلاطين الدولة العثمانية بين أهله وعشيرته بـ "بايزيد الصوفي" لما عرف عنه من حبه لأهل التصوف، والذهاب باستمرار إليهم وحببه للعلم، وحببه للسلم. وكان رجلا ورعا تقيا كما وصفه الكثير من العلماء وكل من تحدث عنه من المؤرخين.

اتسم بصفات كثيرة وهى: البعد عن الكبر والغرور، وحب الناس أفضل شئ له. والأهم حبه للعلماء، والذهاب إليهم. وكان مداوما على الذهاب إلى التكاييا باستمرار، والجلوس مع أهل الصوفية، حتى عرفه الجميع بتصوفه وروعته وأطلق عليه "بايزيد الصوفي" وهذا ما وجد فيه من صفاء نفسى ومن صفات تشبه أهل الصوفية. ^(١) اكتسب "بايزيد" لقب الصوفي من حبه للجلوس معهم ومودته واهتمامه بهم. ولم يكتف بتصوفه ولم يركن إلى العلم فقط، بل وسع من رقعة الدولة العثمانية وفتوحاته الكثيرة. ^(٢)

(١) محمد فريد، مرجع سابق، ص ١٨٦. انظر: Buyuk LUCAT Ve ansikl Opedi, Di , gecen eser, s.151

(٢) لم يكتف "بايزيد" بفتوحات من سبقوه من سلاطين، ولكن بجانب حبه للعلوم الأدبية اضطر لخوض حروب داخلية وخارجية، وحدثت علاقات في عهده مع دول أوروبا حيث وصل أول سفير إلى القسطنطينية عام ١٤٢٩ م - ١٨٩٨ هـ "وعقد اتصالات ودية مع "بولونيا" وعقد معاهدة سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م. انظر: على حسون، مرجع سابق، ص ٤٢، وانظر: محمد فريد، مرجع سابق، ص ١٧٩.

دور التكاييا في تأسيس الدولة العثمانية:

في الصفحات السابقة تحدثنا عن الأوقاف، وأنه يتم الإنفاق على التكاييا من الأوقاف غير المنقولة ومن الأراضي الموقوفة لها. ومن المعروف أن التكاييا والتابعين لها كان لهم دور هام مؤثر عند تأسيس الإمبراطورية العثمانية.

ويشير بعض الباحثين إلى أن أهل التكاييا في العصور الأولى لتأسيس الدولة العثمانية كانوا دائماً في الصفوف الأولى للجيش أثناء الفتوحات التي قام بها العثمانيون، بل إنهم كانوا بمثابة المبشرين الذين يحملون العادات والتقاليد الدينية الإسلامية لكل الأقطار التي تم فتحها.^(١)

وقد ظهر دراويش مناضلون بعد دخول الأتراك في الإسلام وكانت مفاهيمهم وأفكارهم تتلخص فيما يلي:

"لتكن السماء حمية لوطن، ولتكن الأرض مصلى، وأن يصل صوت الأذان إلى كل مكان على وجه البسيطة - الأرض " من هذا المنطلق بدأ المسلمون منذ عام ١٤٧١م للدعاء لهم في خطبة الجمعة.^(٢)

وبدأ الإسلام ينتشر ويحجب في أنحاء بقاع الأناضول وفي أواسط آسيا على أيدي كثير من الدراويش، وكانت الاستعانة بهم في الفتوحات من توطيد ملك الدولة العثمانية. وبأهل التكاييا استفاد العثمانيون من تقريب الناس إليهم

(١) Buyuk Iucat Ve Ansikl Cpedi ,adi, gecen ese.s.151.

(٢) . Mustafa Kara,a-g-e.

وتعليمهم مفهوم الدين الإسلامي، ومن منطلق هذه الفتوحات بدأ العثمانيون يستعينون بأهل التكايما في أن يفهم الداخلون في الدين الإسلامي الجديد هذا الدين، وتسود الحركة الافتتاحية لكثير من البلدان.

وكان لا بد للداخلين في الدين الإسلامي أن يعملوا على حماية الدين، وحماية الوطن، واعتمد سلاطين الدولة على أهل التكايما في كثير من الفتوحات في أواسط آسيا، وفي أفريقيا، وفي أوروبا، والاعتماد عليهم بالأخص داخل تركيا.

فظهرت روح أهل التكايما مع سلاطين الدولة، وحب الشعب لسلاطين الدولة من خلال الدراويش. وكانوا أحد دعائم بناء الدولة العثمانية وازدهارها داخل تركيا وخارجها من خلال تعاليمهم للناس سماحة الدين الإسلامي الجديد.

فظهرت التكايما بأدوار متعددة المجالات، سواء كان حضاريا أو اجتماعيا أو اقتصاديا بجانب الدور الديني الثقافي الفعال.

فمن قبل العثمانيين نجح السلاجقة في تقديم فضائل الإسلام إلى العالم الإسلامي، وذلك عندما أسسوا دولتهم المعروفة تاريخيا باسم الدولة السلجوقية، كما نجحوا في عمل منظومة حياتية مكتملة بمؤسسة الإقطاع، والمؤسسات الخيرية التي أسستها.^(١)

وعلاقة السلطان بالتصوف في الدولة العثمانية كانت علاقة قوية بدأت من أول سلاطين الدولة "عثمان"، واستمرت من سلطان لآخر.

ومن قبل كان في عهد السلاجقة، واستمرت بقوة في عهد العثمانيين. ووجدنا أن السلطان العثماني انتسب إلى طريقة صوفية، وكان الخليفة العثماني كلما يجد الفرصة المناسبة له يذهب إلى التكايا ويجلس مع مشايخ الصوفية، وكان السلطان يظهر لهم كل احترام وتقدير. ^(١)

ولقد كان من أثر اهتمام السلاطين بالتكايا وأهلها أن تأثر الناس بالطرق الصوفية المتشعبة في آسيا الصغرى وخاصة بالطريقة النقشبندية، والمولوية، والبكتاشية أكثر مما خضعت لعلماء الدين الرسميين في البلاد. وكان لهم الأثر في تهذيب العامة من الناس، وبعدهم عن مظاهر الانحطاط والرقى بهم. ^(٢)

(١) كارول بروكلمان، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٢) لقد لقب مفتى استانبول بلقب "شيخ الإسلام" وكانت سلطته نظرية بالكلية، فكان يفتى فيما يرفع إليه من المسائل القضائية وكان لا يملك القوى على إنقاذ فتواه، ولكن في عهد محمد الثاني، وسليم الأول كان له الرأي كاملا وينفذ فتوى التي يصدرها، وكان بعض السلاطين يؤيدون سلطته مع استغلالها أسوأ استغلال مثل: سليم الأول، حيث أصدر فتوى تبيح ما لا يجوز عرفا لأنه أصدر فتوى تبيح حرب المسلمين في مصر. وفي عهد سليم الثاني أصدر فتوى عام ١٥٧٠م من الشيخ أبي السعود المفتى في ذلك الوقت تبيح هذه الفتوى ما يلي: يجوز الإخلال بشروط السلم، ويجوز العدوان ضد "البندقية" عند بداية الحرب القبرصية، وإصدار فتوى تبيح ما لا يجوز عرفا، والمهم أن الإعداد للمناصب الدينية وفقا لتقاليد يوجد في مرسوم خاص. انظر: كارول بروكلمان، مرجع سابق، ص

وظهر شئ واضح في أهل التكايا يميزهم عن علماء الدين الرسميين في البلاد حيث ابتعد أهل التكايا عن مسابرة هوى السلطان في بعض الأمور. وما حدث من أمور من مفتى "دار استانبول" جعلت الشعب لا ينظر إلى العلماء الكبار بنظرة وقار عكس نظرة الاحترام والتقدير لأهل التكايا التي ينظرهم لهم عامة الناس.

المبحث الثاني التكايما والحياة التعليمية

العلاقة بين المدرسة والتكايما:

كانت الحياة العلمية في العهود الأولى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدار العبادة، حيث كان العلم لا يتجزأ من حياة التقوى والزهد. وعلى هذا المبدأ تربي الصحابة الكرام، فقد كان العلم عندهم غذاء للعقل والقلب، وذلك من خلال المبادئ التي كانت متبعة حثيئذ في التربية والتعليم. وعلى نفس النهج سار التابعون، فقد اتبعوا نفس الأصول في تعليمهم. أي ربط التعليم بالدين ودار العبادة - ولنا في ذلك خير شاهد وهم العلماء الكبار الذين نبغوا في علوم الحديث والتفسير، بل أن علماء ذلك العهد كانوا لا يتخيلون الحياة العلمية بدون تقوى وزهد. وقد وجدت نشاطات علمية لمؤسسات الدولة في الأوقاف الطارئة مثل: الحروب وغيرها يرتبط ارتباطاً كبيراً بدور العبادة والمشايخ المتصوفة.^(١)

فأهل العلوم يتجهون إلى العقل، أما المشايخ المتصوفة فيتجهون إلى روح المجتمع، وبالتالي يمثل الاثنان كياناً قوياً يستطيع أن يواجه احتياجات المجتمع. وفي بعض الأحيان كانت تحدث بعض الانتقادات بين كلا الفريقين

العلماء والمتصوفة، ولكن كل فرقة كانت تقابل انتقادات الفرقة الأخرى بالاحترام، وكان الفاصل بينهما الكتاب والسنة. (١)

ولننظر إلى مقولة الإمام مالك وهو يقول: "الذى يتوجه إلى التصوف دون علم بالفقه فهو زنديق، والذى يتجه إلى الفقه دون العلم بالتصوف فهو فاسق، أما من يرتبط بين الاثنين فقد وصل إلى الحقيقة".

نجد الإمام مالك - رضى الله عنه - يبين مغزى قوى ومفهوم ولا بد أن يعقله كل من يلجأ إلى التصوف ألا وهو التفقه فى الدين.

ويقول الإمام أبو يزيد البسطامى: "كنت سأدعوا الله أن يخلصنى من كلفة الطعام - أى أصوم دائماً - وأن يخلصنى من النساء - أى اعتزل النساء - ولكنى فكرت فى الأمر، فوجدت أن الرسول (ﷺ) لم يفعل ذلك، وتخلت عن ذلك على الفور". (٢)

(١) Yusuf akcura, Turk Yurdu mecmuasi, 11, 727. (1334). s. 266.

(٢) استأق البسطامى ما قاله من حديث الرسول (ﷺ) لثلاثة نفر جاءوا إلى الرسول (ﷺ) ولما عرفوا عبادت (ﷺ) فكأنهم تقالوها. فقال أحدهم: أنا أصوم الدهر كله ولا أفطر وقال الثانى: وأنا أعتزل النساء. وقال الثالث: وأنا أقوم الليل كله. فلما علم الرسول (ﷺ) حال هؤلاء قال: أنا أصوم وأفطر وأقوم وأقعد وأتزوج النساء فمن رغب عن ستنى فليس منى "هذا يوضح عدم ابتعاد الدين عن الدنيا بل هما حيز واحد. انظر: البخارى، ومسلم، فى صحيحيهما..

ويقول أبو سلمان الدارنى: "وكنت أشعر أحيانا ببعض الأحاسيس الصوفية فى داخلى، وقد قررت فى نفسى بأننى لن أقبل أى شهادة لا تعتمد على الكتاب والسنة".

ويقول أبو حمزة البغدادى: "لا يوجد طريق قط يتوافق مع طريق الله سواء فى القول، أو فى العمل سوى طريق الرسول (ﷺ)".

ويقول ذو النون المصرى: "يجب أن يكون الشخص الذى يجب الله تابعا لمحبة الله. ولننظر إلى المتصوف "سرى الساقطى" عندما دعا لمريديه حيثئذ قائلاً: "لن أدعوا لك بأن تكون صوفيا محدثاً، بل أدعو لك بأن تكون محدثاً صوفياً". بمعنى أن يكون التفقه والعلم قبل الدخول فى الصوفية، لأن الصوفية أساسها العلم.

ومن هنا يتبين لى أننى أرى فائدة من ذكر آراء بعض المتصوفة الأوائل المتعلقة بالكتاب والسنة.

ويقول أبو على الجرجانى: "يجب أن يعلم كل شخص أن خير الطرق إلى الله وأبعدها عن الشبهات هى إتباع سنة المصطفى (ﷺ)".

ويقول نجم الدين الكبرى: "أن الشخص الذى يترك أى فرض من الفروض، أو سنة من السنن فلا تصدقوا دعواه فإنه كذاب، حتى لو رأتموه

يبلغ النار أو يمشى على الماء، أو يطير في الهواء، فكل هذه الأشياء ليست فيها كرامات".^(١)

هذه الآراء من التكايا وأهلها، ذكرها مصطفى كارا، أحد المؤلفين الأتراك مستشهدا بكلامهم في كتابه.

بعد العرض السابق لكل هؤلاء العلماء الأجلاء عن حقيقة مفهوم الصوفي المتفقه العالم نجدها ملخصة في شئ واحد كلهم اتفقوا عليه وهو العمل بالكتاب والسنة، وفهمها فهما صحيحا، ويجب على الصوفي أن يعمل بما يقول، ولا يحدث إلا إذا كان عالما بالشئ ومتفقا بالعلوم الشرعية كبيرها وصغيرها، والبعد عن البدع والخرافات.

وليست الصوفية عند أهل التكايا لبس جلباب معين، ولا إيجاد شئ ليس معلوما من الدين، وهي إحساس داخلي لا يشعر به عامة الناس، وإن أحس خاصتهم يجب أن يلتزموا بالكتاب والسنة.

الشيخ عرف عنه لا بد أن يكون عالما بالشرع، والحقيقة، والطريقة، وعالما بالقرآن والسنة وعاملاً بهما لكي يقتدى به؛ للفرقة بين المدرسة والتكية لا بد للتعرض لتعريف المدرسة وماهيتها.^(٢)

Mustafa Kara, a-g-e.s.82. (١)

Mustafa Kara, a-g-e. (٢)

المدرسة في اللغة: تأتي بمعنى البناء الذي يجلس فيه الطلاب ويتناولون فيه الدرس، أو هي مكان للدرس وجمعها مدارس. ويطلق اسم مدرس على الأساتذة الذين يلقون الدرس للطلاب في المدارس. (١)

إن فعاليات التعليم لها أهمية كبرى في المجتمع الإسلامي فقد روى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال "إن الله أرسلني معلماً".

وبالتطرق إلى القرآن الكريم فقد اتضح أن الرسول (ﷺ) وظيفته هي التعليم.

قال تعالى: "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم". في الحقيقة توجد آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن العلم، وتحث على البحث والدراسة.

إن إحدى الخصائص التي تلفت الانتباه في هذه الآيات هي نزول جزء كبير منها قبل الهجرة - هجرة الرسول (ﷺ) أي قبل مجيء الرسول (ﷺ) إلى المدينة.

وتوجد فائدة في إيضاح القرآن الكريم للعلم والبحث والدرس ومن هذه الآيات قال تعالى: "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون". (٢)

Zaya Kazici, a-g-e. (١)

(٢) سورة الزمر: آية ٩.

وقال تعالى: "وقل ربي زدني علماً" (١).

وقال تعالى: "واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (٢).

وقال تعالى: "ن. والقلم وما يسطرون" (٣).

فقد اتضح من خلال الآيات السابقة الحث على العلم. وزادت الجهود في العالم الإسلامي من أجل التعليم قبل وجود المدارس، لكن كانت أماكن العلم مختلفة مثل الجوامع الكثيرة، ودور العلم والدراسة وغير ذلك. (٤) ولمعرفة الدين الإسلامي الحنيفي ونشره في البلاد التي فتحها المسلمون فكان لا بد من وجود مؤسسات وأناس من شأنهم تعليم مبادئ الدين الأساسية وحقائقه. (٥)

(١) سورة طه: آية ١١٤.

(٢) سورة النحل: آية ٤٣.

(٣) سورة القلم: آية ١.

(٤) Zaya Kazici, a-g-e-s.125.

(٥) تم تشييد أول مدرسة في العالم الإسلامي في "تيسابور" تحت مسمى "النظامية" في عهد السلطان "ألب رسلان" وابنه الملك "شاه" وألقى السلطان "ألب أرسلان" أساسها وقواعدها عند حافة دجلة عام ٤٥٧ هـ - ١٢٤٦ م وقد أنفق عليها مائة دينار وشيدت بعد عامين، وبدأت بها الدراسة بعد ذلك وتم استدعاء العالم "أبي إسحاق الشيرازي" ليدرس بهذه المدرسة. وبعد إنشاء المدارس النظامية فقد تم اتخاذها كنموذج لتأسيس المدارس.

انظر: Zaya Kazici, a-g-e.

إن العثمانيين قد أعطوا قيمة للتعليم بالمدارس والعلم ولرجال هذا الميدان أيضاً. وعملوا على إزالة كل ما يعوقهم ويواجههم في مسألة تحصيل العلم وذلك بقدر المستطاع في أيام حكمهم وكان يتم التعليم بالمدرسة عند العثمانيين في ظل الأوقاف.

وأنشأ العثمانيون أول مدرسة في "إيزنيك" - Iznik - عام " ٧٣١هـ -
 ١٣٣٠م" في عهد السلطان "أورخان" وبعد إنشاء المدرسة الأولى هذه فقد تم
 البدء في افتتاح المدارس وفرقها العلمية في جميع الديار الإسلامية.^(١)

أوجه الإلتحاق بين المدرسة والتكية:

تتفق المدرسة والتكية من وجوه منها:

- ١- وحدة المكان والمقصود: وجود مكان محدد لكل منهما يلقي فيه العلم.
- ٢- اتحادهما في الأمور المعنوية، فلم يقتصر الأمر على اتحادهما في الأفكار، والأمور العلمية، بل في الأخذ بمراتب العلم فكلاهما قد يكون موجودا في مكان واحد، وتحت سقف واحد، وتحت إدارة واحدة، حيث يقوم الطلاب، ورجال العلم بتحصيل علومهم ودروسهم في أبنية المدارس بعد أن يكون قد وفروا كل احتياجاتهم من "الخانات" أو "الرباط" أو التكية" وأحيانا كانوا يستفيدون من المكتبات الفنية الموجودة في تلك التكايا بشرط: أن يكون هذا الأمر موجوداً في الوقفية الخاصة بهذه المكتبة.

وتوجد الآن أبنية في تركيا كثيرة يدرس بها الآن، وعرف عنها أنها كانت زوايا أو تكية قديماً.^(١)

وكان يطلق المصريون قديماً على المدارس لفظ التكايا، وعلى المدرسين لفظ المشايخ، أما في إيران فيطلقون على المدارس لفظ الزوايا.^(٢)

والمصدر الأساسي الذي يوجه فكر وحياة المتصوفة هو الشيخ ووصاياه التي يدونها في كتبه ورسائله.^(٣)

٣- كانت العلوم الصوفية تدرس جنباً إلى جنب مع الدروس الفقهية في المدرسة الإلزامية والمدرسة الجمالية في القاهرة.^(٤)

وكان المدرس الذي يقوم بتدريس الفقه في المدرسة الجمالية هو الذي يقوم بتدريس التصوف.^(٥)

(١) mstafa kara-a-g-e.s/81

(٢) ويذكر أولياجلبي عند زيارته لإيران وحينها وصل قلعة "نهاوند" وجد بها سبع مدارس وست تكايا وسبعين مسجداً، ووجد في القرى المجاورة للقلعة تكايا كثيرة للسنيين. انظر: أحمد الهواري، أولياجلبي ورحلته في الأناضول وإيران والعراق، ص ٢١٧.

(٣) فمن صفات الشيخ أن يكون قائماً على علم الله، ولا شاغل له إلا الله وحده. انظر: رينولد نيكسون: التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا العفيفي. ط عام ١٩٦٩ م، ص ٣٣ ومن صفات الشيخ أن يكون حافظاً للقرآن الكريم، وعالماً بالسنة الصحيحة. انظر: الإمام القشيري، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٤) المقرئزي: مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٥) فقد وجدت "خانقاه" - تكية - في مدرسة "جاي" مما يدل على أن التكية لها علاقة وثيقة

وعلى هذا نرى توحداً بين المدرسة والتكية ليس في الأفكار والآراء فحسب، بل في المكان أيضاً، وقد استمر الوضع على هذا المنوال حتى القرن العاشر الميلادي، حيث كان هذا القرن هو بداية ظهور الطرق الصوفية المختلفة وظهور مشايخ وأولياء كثيرين، إلا أن هذا الامتزاج الكبير بين المدرسة والتكية لم يتضح في الطريقة لاختلافات فكرية كبيرة.^(١)

(١) وجد خلاف حول الفكر الصوفي وانتقادات من علماء الإسلام ومنهم: ابن القيم الجوزية، وابن تيمية وذكر المضرات التي ستتج عن تأسيس التكايا وشأن أهلها ويمكننا ذكر بعض الانتقادات التي وجهها كلا الشيخين إلى الفكر الصوفي وهي على ما يلي:

١- لا توجد علاقة قط ببعض سوك المتصوفة تتصل بكتاب الله وسنة نبيه (ص) وعلى سبيل المثال: الزواج السنة يتركه المتصوفون. وذلك لانه يجب على المريد منهم ان يكون في خدمة الجماعة. وينقد الشيخان المتصوفة بقولهم: إن تحصيل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فإن المتصوفين يعتبرونه شئ بسيط ويعطون أهمية كبرى للانكشاف والإلهام.

٢- يوجد أناس كثيرون من الفكر الصوفي يعتمدون على أسس واعتقادات لا يمكن: إثباتها بالكتاب والسنة، وتستند على وجود شخصيات معنوية لها أثر في حياتهم ويعتقدون انها تدير العالم.

٣- فلسفة وحدة الوجود في الفكر الصوفي مخالفة تماما لاسس الدين الاسلامي الحنيف.

٤- لا توجد علاقة بين الولي، وبين التوكل الذي جعلوه سمة لهم.

٥- لا يستطيع أي شخص أن يدعى وجود بعض سلوك الصوفية الموجودة بينهم أنه كان موجود في عهد النبي (ﷺ) كالدوران والرقص. انظر: فتاوى ابن تيمية. نقول: ما قاله ابن تيمية ليس من الصحيح في شئ لأن الصوفي يتزوج على سنة الرسول (ﷺ) كما في حديث البسطامي شيخ من شيوخ المتصوفة. وما قاله عن فلسفة وحدة الوجود هذه الفكرة قال عنها الشيخ رشيد: أنها أخذت من قدماء الهنود وأهل الصين واليونان. انظر: محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مجلد ٢٢، ص ١٧٦. أن ما يقوله ابن تيمية

وظهرت ألقاب كثيرة لأهل الصوفية مثل القطب، والغوث، والأوتاد، والأبدال، كانت محل نظر وجدل في المعنيين بالتصوف. ^(١) كانت التكايا في عهد العثمانيين تخاطب مجموعات كبيرة أكبر بكثير من المدرسة في نفس الوقت التي كانت المدرسة تكمل فيه التكية.

ويذكر بعض مثقفي الأتراك أن الشعب التركي أظهر ميلا ورغبة للمدرسة والتكية لما رأوا فيهما من مسامحة وفلسفة تعتمد على صداقة الإنسان. ومن هنا يتضح الاعتقاد الخاطئ القائل بأنه قد ظهرت نزعات بين المدرسة وبين التكية، والدليل على ذلك أن معظم مشايخ التكايا تلقوا تعليمهم

عن أهل التكايا والمتصوفين ليس من الحق عليهم لأن من يفعل ذلك ليس صوفيا حق بل يزعم التصوف.

(١) القطب والغوث بمعنى واحد ومعناه: هو سيد الجماعة في زمانه، وهو من يجوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام.

- الأوتاد: هم أربعة في كل زمان ولا يزيدون، ولا ينقصون الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وهو ولي فيه، والثاني يحفظ به المغرب، والثالث يحفظ الله به الشمال، والرابع يحفظ الله به الجنوب.

- والأبدال: هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم فيه ولايته، الواحد فيهم على قدم الخليل عليه السلام وله الأقليم الأول، والثاني على قدم الكليم موسى عليه السلام، والثالث على قدم هارون عليه السلام، والرابع على قدم إدريس عليه السلام، والخامس على قدم يوسف عليه السلام، والسادس على قدم عيسى عليه السلام، والسابع على قدم آدم عليهم السلام. وسموا بذلك لأن الواحد منهم إذا فارق مكان ترك واحدا آخر بدلا منه على صورته لا يشك فيه أحد وهو شخص روحاني. انظر: محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، تحقق عثمان محيي الهيثمة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ج ١١، عام ١٩٧٤ م، ص ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧.

في المدارس، وكلهم كانوا مدرسين. وفي نفس الأمر من كان يدرس في هذه المدارس مشايخ من التكايا. ^(١)

في نهاية الأمر نستطيع أن نقول أن الشعب التركي اكتسب التربية الدينية، والاجتماعية والإحساس بالوحدة بين أفراد الشعب بواسطة الطرق الصوفية عبر التكايا والزوايا.

المبحث الثالث مشايخ الإسلام والتكايب

إن شيخ الإسلام، أو مشايخ الإسلام كانت لهم مؤسسة هامة جداً. وهى ذات تأثير قوى هام بالفتوى، التى أصدرتها مؤسسة شيخ الإسلام عن التصوف والطرق. ونريد أن نلقى نظرة بسيطة عن تلك المسألة وهى: أن معظم فتاوى مشايخ الإسلام الذين تولوا هذا المنصب كانت تساند المتصوفة. ولأهمية هذا المنصب فقد كان "أورخان بك" - ثانى سلاطين العثمانيين - يكلف شيخ الإسلام بمراقبة المتسبين للطرق الباطلة ذات الاعتقادات الفاسدة، بل أنه كان يقوم بمجازاة من يثبت إدانته منهم.^(١)

وكان السلطان نفسه يعاقب شيخ الإسلام إذا هاجم الطرق الصوفية المعتدلة المشهورة. ومن ذلك أنه قام بعزل شيخ الإسلام الشيخ "محيى الدين محمد أفندى" المعروف "بجوى زادة" لأنه كان يهاجم أهل التصوف، وخاصة لما هاجم مولانا "جلال الدين الرومى"، و"محيى الدين ابن عربى".

وظهر كثير من مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية يقفون دائماً بالمرصاد للطرق الصوفية وقليل من هؤلاء المشايخ من كان يساند الطرق، ويقف بجانبها، ومن هؤلاء شيخ الإسلام "زنبلى على أفندى" ت ١٥٠٣ م. الذى كان

دائماً يقف بجوار الطرق الصوفية وله رسالتان أحدهما منظومة والأخرى، مثورة كلاهما تساند التكاييا بشكل كبير. (١)

وظهر شيخ الإسلام "رفيق أفندي" الذي قضى فترة من حياته في الشام قبل أن يتولى هذا المنصب، وقام بتأليف عدة دراسات عن "ابن عربي" ثم انتسب للشيخ "عبد الفتاح أفندي" شيخ الطريقة النقشبندية حينئذ.

ويعد الشيخ "رفيق أفندي" أول مؤسس لمؤسسة مجلس المشايخ. ومن المشايخ الذين كان لهم علاقة كبيرة بالطرق الصوفية شيخ الإسلام "عبد المنصف نسيب أفندي" ١٥١١ م. (٢)

(١) "جوى زاده" هو محي الدين شيخ محمد بان إلياس المشتهر بـ "جوى زاده" عمل مدرسا بمدرسة أمير الأمراء بمدينة أدرنة، ثم مدرسا بمدرسة أحمد باشا بمدينة برومية ثم مدرس بمدرسة الوزير محمود باشا بمدينة استانبول وعمل قاضيا ثم مفتيا بمدينة استانبول. "زنبلي على أفندي" هو علاء الدين على بن احمد بن محمد الجمالي يعمل مدرسا بسلطانية بروصة تولى منصب الفتوة من السلطان "محمد خان" وكان يقضى جميع اوقاته في التلاوة والعبادة والدرس والفتوى وكان له الكلمة الأولى عند السلطان "سليم خان" ومنه ان السلطان امر بقتل مائة وخمسون رجلا لا يجوز = فتلهم شرعاً فبعث "زنبلي على أفندي" بأن ما يفعله مضيع للشرع وللآخرة لأنهم لا يستحقون القتل، وأخذ السلطان بكلامه وعفا عنهم. انظر: الشقائق النعمانية، طاشكوبرى زادة، مرجع سابق، ص ٢٨٦، ٢٨٧، ٤٤٦.

(٢) طاشكوبرى زادة، الشقائق النعمانية، مرجع سابق، ص ٤٤٧.